



تعلوب حكيمًا

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : عبد الشافي سيد



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
طابع والنشر والتوزيع
ش : ٥٩٠٠٠٠ - القاهرة
فلسطين : ٢٠٠٠

قَرَّرَ تَعْلُوبُ أَنْ يَسْتَغْلِلَ كُلَّ خَيْرَاتِهِ وَمَهَارَاتِهِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا
مِنَ الْحَيَاةِ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ أَهْلِ قَرْيَتِهِ ، وَشَاعَ عَنْهُ ذَلِكَ ،
فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَوَافِدُونَ عَلَى مَنْزِلِهِ ، لِيَحِلَّ لَهُمْ مَسَآكِلَهُمْ ،
وَيَفْصِلَ فِي النِّزَاعَاتِ وَالْخِلَافَاتِ الْقَائِمَةِ بَيْنَهُمْ ..
وَقَدْ ذَاعَتْ شُهْرَةُ تَعْلُوبٍ بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي قَرْيَتِهِ ، وَفِي
الْقُرَى الْمُحِيطَةِ بِهَا ، بِرَغْمِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَادِلًا فِي حُكْمِهِ ،
وَلَا مُصِيبًا فِي حِكْمَتِهِ دَائِمًا ..



كَانَ فِي اسْتِطَاعَةٍ تَعْلُوبٍ أَنْ يُبْرَى الْمُذْنِبُ ، وَيَحْكَمْ
ضِدَّ الْبَرِّىءِ ، وَيَقْلِبَ الْحَقَّ بَاطِلًا ، وَيُزَيِّفَ الْحَقِيقَةَ ،
طَالَمَا أَنَّ الْجَانِيَ يَدْفَعُ لَهُ ..
وَقَدْ ضَاقَ النَّاسُ بِذَلِكَ ضَيْقًا شَدِيدًا ، وَشَكَّوْا الْأَمْرَ
إِلَى أَرْثُوبٍ ، فَفَرَّرَ التَّعَرُّفَ عَلَى طَرِيقَتِهِ ، حَتَّى يَلْقَى
تَعْلُوبًا دَرَسًا وَعِظَةً ..



وَذَاتَ يَوْمٍ ارْتَدَى ارْتُوبٌ ثَوْبًا فَخْمًا جَدًّا ، بَلْ هُوَ
أَفْخَمُ ثَوْبٍ رَأَى شَخْصٌ فِي الْقَرْيَةِ ، وَرَكِبَ جَوَادَهُ
مَتَوَجِّهًا إِلَى مَنْزِلِ تَعْلُوبٍ ..

وَهُنَاكَ تَرَجَّلَ عَنْ جَوَادِهِ ، وَطَرَقَ بَابَ الْمَنْزِلِ ، فَفَتَحَ
لَهُ تَعْلُوبُ الْبَابَ بِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا رَأَى فِي ثَوْبِهِ الْحَرِيرَ
الْمُطَرَّزَ بِخُيُوطِ الذَّهَبِ لَمْ يَتَعَرَّفْهُ ، وَظَنَّهُ أَحَدَ الْأَثْرِيَاءِ ،
فَرَحَّبَ بِهِ ، وَأَدْخَلَهُ إِلَى الْحُجْرَةِ الَّتِي يَسْتَقْبِلُ
فِيهَا ضَيْوْفَهُ ..



وفى الدّاخل صَارَحَهُ أَرْنُوبٌ بِالْحَقِيقَةِ ، مُعَرِّفًا إِيَّاهُ
بِنَفْسِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ تَعْلُوبٌ بِاحْتِقَارٍ قَائِلًا :
- مِنْ أَيْنَ سَرَقْتَ هَذَا الثَّوبَ الْفَخْمَ أَيُّهَا الْمُحْتَالُ ؟
هَذَا الثَّوبَ لَا يَلِيْقُ بِشَخْصٍ تَافِهٍ مِثْلِكَ ، وَإِنَّمَا يَلِيْقُ
بِشَخْصٍ نَابِهٍ حَكِيمٍ مِثْلِي ..
وَدُونَ أَنْ يَنْطِقَ أَرْنُوبٌ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ نَزَعَ الثَّوبَ عَنْ
نَفْسِهِ وَوَضَعَهُ عَلَى كَتِفَيْ تَعْلُوبٍ ..

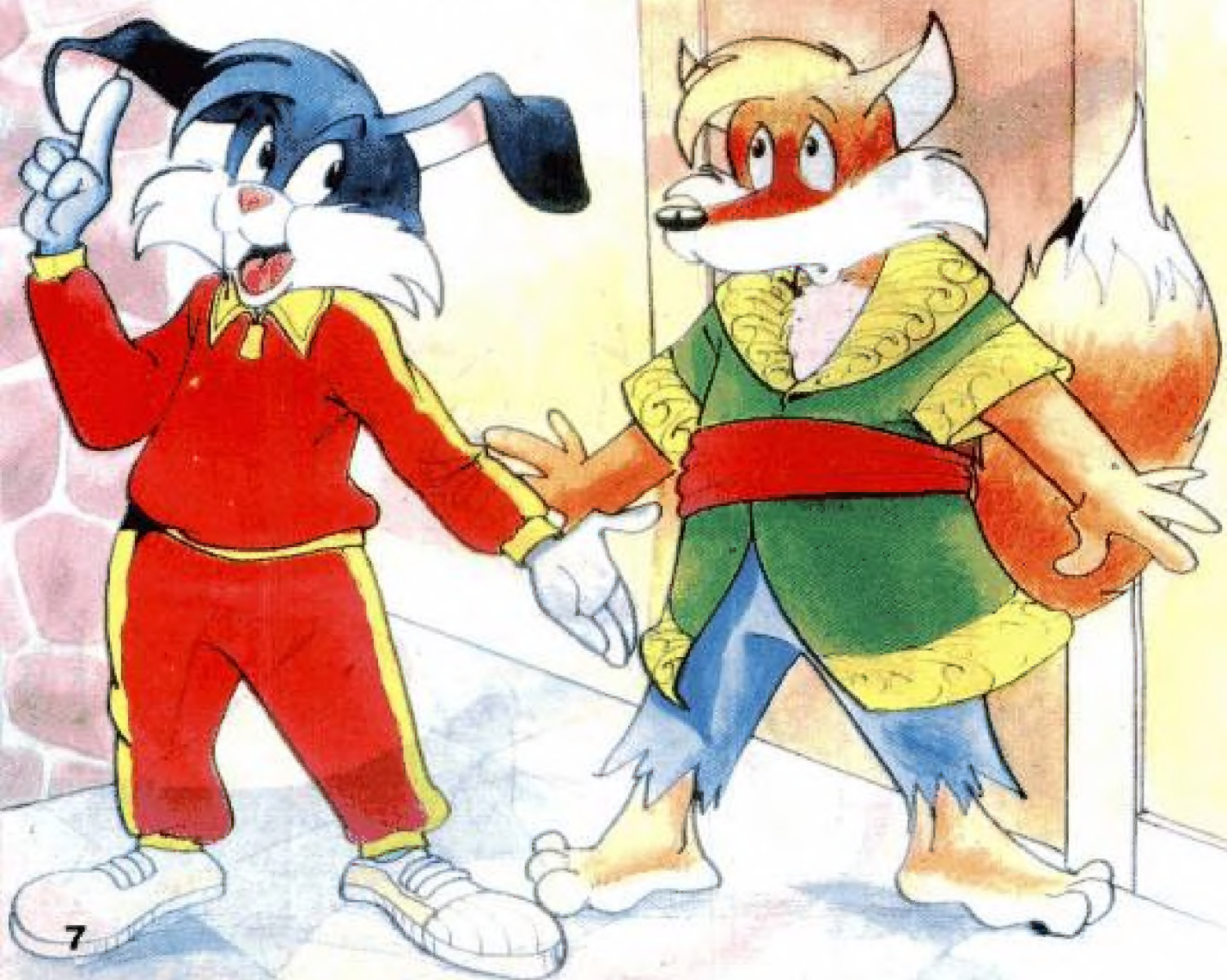


فَرِحَ تَعْلُوبٌ بِالنُّوبِ ، وَرَاحَ يَرْتَدِيهِ عَلَى عَجَلٍ ، ثُمَّ أَخَذَ
يَدُورُ فِي الْمَكَانِ مُخْتَلًا بِهِ ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُ نَفْسَهُ فِي الْمِرْآةِ ،
تَارَةً مِنْ هَذَا الْجَانِبِ ، وَتَارَةً مِنْ ذَاكِ الْجَانِبِ ..
وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَى مِنْ ذَلِكَ جَلَسَ مُخْتَلًا ، وَقَالَ لَارْتُوبِ :
- يَا لَهُ مِنْ نُوبٍ رَائِعٍ .. لَكُمْ أَسْعَدْتَنِي يَا عَزِيزِي ارْتُوبًا بِهَذِهِ
الْهِدِيَّةِ ، الَّتِي لَا تَقْدَرُ بِثَمَنِ ..



فَقَالَ ارْنُوبُ : أَنْتَ يَا عَزِيزِي تَعْلُوبًا تَسْتَحِقُّ أَكْثَرَ مِنْ
ذَلِكَ ، بِسَبَبِ مَا سَمِعْتُهُ عَنْ حِكْمَتِكَ ، وَحُكْمِكَ بَيْنَ النَّاسِ
بِالْعَدْلِ ..

فَمَدَّ تَعْلُوبٌ عُنُقَهُ إِلَى الْأَمَامِ ، وَمَالَ عَلَى ارْنُوبٍ قَائِلًا :
- الْآنَ عَرَفْتُ أَنَّ كُلَّ مَا قِيلَ لِي عَنْكَ مِنْ كَلَامِ السُّوءِ لَيْسَ
صَحِيحًا .. رَبُّمَا تَكُونُ قَدْ كِدْتَ لِأَحَدِ الْأَغْبِيَاءِ ، وَلَكِنْ حَسَنًا
فَعَلْتَ ، وَلَيْلَمُ هُوَ نَفْسَهُ ..
فَسَكَتَ ارْنُوبُ وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ..



وبعد قليل نظر إليه تغلوب قائلاً :
- فى أى شىء جئت تقصِدُنِي يا أخى ؟
فقال أرنوب بعد تفكير قصير :
- جئت أطلبُ مِنْكَ النصيحَ ، ولكن لا أعرفُ مِنْ أينَ أبدأ ..
فشجّعهُ تغلوب قائلاً :
- تحدّثْ يا أخى ولا تخجلْ ، فمهما كانت قضيتُكَ فسوف
أحكمُ فيها لصالحِكَ .. إنْ هَذَا الثوبَ يُدْفِئُ قَلْبِي ، وَلَنْ
يَجْعَلَنِي أنطقُ بِغَيْرِ ذَلِكَ ..



فَانْحَنَى ارْتُوبُ أَمَامَهُ قَائِلًا :

- شُكْرًا يَا أَخِي .. شُكْرًا .. طَالَمَا أَنَّكَ مُتَعَاظِفٌ مَعِيَ إِلَى
هَذِهِ الدَّرَجَةِ ، فَسَوْفَ أَحْكِي لَكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِأَمَانَةٍ وَصِدْقٍ ..
فَقَالَ تَعْلُوبُ :

- تَفْضَّلْ ، فَأَنَا كُلِّي أَذَانٌ صَاغِيَةٌ لَكَ ..

فَاعْتَدَلَ ارْتُوبُ فِي جِلِسَتِهِ ، وَقَالَ : كَانَ عَبْدِي خَادِمٌ ، وَقَدْ
دَفَعْتُ فِيهِ أَجْرًا كَبِيرًا ، وَتَعَلَّقْتُ بِهِ وَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا كَثِيرًا .. كُنْتُ
أَحَافِظُ عَلَيْهِ ، كَمَا تُحَافِظُ الْأُمُّ عَلَى أَطْفَالِهَا ، وَالطُّيُورُ عَلَى
صِغَارِهَا ..



فَقَالَ تَعْلُوبٌ مُقَاطِعًا :

- هَذَا وَاضِحٌ مِنْ سَلُوكِكَ النَّبِيلِ مَعِيَ ..

فَقَالَ ارْتُوبُ :

- لَمْ يَكُنْ هُوَ خَادِمِي ، بَلْ أَنَا الَّذِي كُنْتُ خَادِمَهُ .. كُنْتُ

أَعْمَلُ أَنَا ، وَهُوَ يَجْلِسُ مُسْتَرْيِحًا ، وَإِذَا سَقَطَتْ عَلَيْهِ ذَرَّةٌ

تُرَابٍ كُنْتُ أَنْفُضُهَا عَنْهُ بِحَرَصٍ شَدِيدٍ ، وَإِذَا مَسَّتْهُ قَطْرَةٌ

مَاءٍ كُنْتُ أَجْفَقُهَا عَنْهُ بِسُرْعَةٍ ، وَعِنْدَمَا كُنَّا نَخْرُجُ مَعًا كُنْتُ

أَسِيرُ وَأَحْمِلُهُ عَلَى كَتْفِي ..



فَقَالَ تَعْلُوبُ :

- فَمَاذَا جَرَى إِذَنْ !؟

فَقَالَ ارْتُوبُ :

- الْيَوْمَ فَقَطْ فَقَدْتُ خَادِمِي ..

فَسَأَلَهُ تَعْلُوبُ بِفُضُول :

- وَكَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ !؟

فَرَدَّ ارْتُوبُ :

- قَابَلْتُ أَنَا وَهُوَ أَحَدَ اللَّثَامِ ، وَمَا إِنِّ رَأَى خَادِمِي ، حَتَّى

طَمَعَ فِيهِ ..



فَسَأَلَهُ تَعْلُوبُ :

- كَيْفَ ؟

فَقَالَ أَرْثُوبُ :

- رَاحَ يَمْتَدِحُهُ أَمَامِي ، وَيَذُمُّنِي ، حَتَّى اسْتَمَالَ إِلَيْهِ
الْخَادِمَ ، فَهَرَبَ إِلَيْهِ .. ذَهَبَ خَادِمِي الْجَاهِدُ إِلَى سَيِّدِهِ الْجَدِيدِ
وَتَرَكَنِي ..

فَقَالَ تَعْلُوبُ : هَذَا جَحُودٌ وَتُكْرَانٌ لِلْجَمِيلِ مِنْهُ ..



فَقَالَ ارْنُوبُ : مَاذَا أَفْعَلُ الْآنَ ؟ فَكَّرَ بِمَاذَا تَنْصَحُنِي يَا أَخِي ؟
فَقَالَ تَعْلُوبُ : وَهَلْ هَذَا أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَفْكِيرٍ ؟! ابْحَثْ
عَنْ خَادِمِكَ ، حَتَّى تَجِدَهُ ، وَخُذْهُ إِلَى مَنْزِلِكَ ، ثُمَّ ابْدَأْ فِي
جَلْدِهِ فَوْرًا بِالسَّوْطِ ..

فَقَالَ ارْنُوبُ :

- مَدُّ اللّٰهُ لَنَا فِي عُمْرِكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ تَعْلُوبُ .. إِنَّ رَأْسَكَ
يُسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ وَزْنِهِ مَاسًا .. إِنَّكَ لَمْ تُصَدِرْ فِي حَيَاتِكَ
كُلَّهَا حُكْمًا أَعَدَلَ مِنْ هَذَا .. سَأَسَارِعُ فِي تَنْفِيزِ حُكْمِكَ فَوْرًا ..



فَقَالَ تَعْلُوبُ : هَيَّا اذْهَبْ وَابْحَثْ عَنِ الْجَانِي ..
فَقَالَ ارْنُوبُ : لَا دَاعِيَ لِلْبَحْثِ عَنْهُ فَهُوَ مُوجُودٌ هُنَا ،
فِي هَذَا الْمَكَانِ ..
فَقَالَ تَعْلُوبُ : مُتَشَكِّكًا : مَاذَا تَقْصِدُ ؟
فَقَالَ ارْنُوبُ : الْخَادِمُ الْمَقْصُودُ هُوَ ثَوْبِي ، الَّذِي
اِغْتَصَبْتَهُ مِنِّي ..
فَقَالَ تَعْلُوبُ : كَيْفَ ؟



فَقَالَ ارْتُوبُ : أَلَمْ أَكُنْ أَنَا الَّذِي حَافَظْتُ عَلَيْهِ وَرَعَيْتُهُ ،
وَنَفَضْتُ عَنْهُ التُّرَابَ ، فَمَا إِنْ قُلْتَ أَنْتَ بِضَعِ كَلِمَاتٍ ، حَتَّى
صَارَ عَلَى كَتِفَيْكَ .. حَسَنٌ .. سَوْفَ يَنَالُ جَزَاءُ خِيَانَتِهِ
وَجُحُودِهِ الْآنَ ..

وَأَخْرَجَ ارْتُوبُ سَوْطًا مِنْ سَاقِ حِذَائِهِ ، ثُمَّ انْهَالَ بِهِ عَلَى
ظَهْرِ تَعْلُوبٍ ، فَاخَذَ يَقْفُزُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مُتَالِمًا ، وَالسَّيَاطُ
تَلْسَعُهُ ، فَقَالَ ارْتُوبُ : عَفَوَا يَا أَخِي .. إِنَّنِي أَنْقَذْتُ حُكْمَكَ ،
وَأُودِبْتُ ثَوْبِي الْعَاقُ ..



وَلَمْ يَتَحَمَّلْ تَعْلُوبَ لَسَعَاتِ السُّوْطِ طَوِيلًا ،
فَنَزَعَ عَنْهُ الثَّوْبَ ، وَاعَادَهُ لَارْتُوبَ ، فَحَمَلَ ثَوْبَهُ
مُغَادِرًا الْمَنْزِلَ ، وَتَعَلَّمَ تَعْلُوبَ مِنْ ذَلِكَ أَلَّا يَغْصِبَ
شَيْئًا لَيْسَ مِلْكًا لَهُ بَلْ إِنَّهُ كَفَّ مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَنِ
التَّظَاهُرِ بِالْحِكْمَةِ ، وَعَنْ قَلْبِ الْحَقِّ إِلَى بَاطِلٍ ،
وَإِدَانَةِ الْبَرِيءِ ، أَوْ تَبْرِئَةِ الظَّالِمِ ..

[تمت]

